عقيدة البعث

فى التصور الإسلامى

دكتور

فضلون محمد محمد مصطفى

المدرس بقسم العقيدة والفلسفة

المقدمة:

الحمد لله الذى خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له في ملكه، خلق فسوى وقدر فهدى وأخرج المرعى فجعله غثاء أحوى.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً رسول الله أرسله الله عز وجل بالنور المبين والدين القويم والدستور الإلهى العظيم.

اللهم صل وسلم وبارك عليك سيدى يا رسول الله وعلى آلك وأصحابك إلى يوم الدين.

وبعد...

فمما لا ريب فيه أن البعث عقيدة راسخة في الدين الإسلامى وركن أساسى من أركان الإيمان، فلا يقبل إيمان بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والقضاء والقدر إلا إذا تبعه إيمان باليوم الآخر، واليوم الآخر يشتمل على أمور كثيرة من أهمها الإيمان بالبعث والنشور، ولولا البعث لكانت حياة الإنسان عبثاً، لأن الإنسان عندما يبعث في الآخرة يجازى على أعماله كلها، إن كانت خيراً فخيراً، وان كانت شراً فشراً وصدق الله العظيم حينما قال في محكم التنزيل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾[1].

والذى دفعنى إلى الكتابة في هذا الموضوع عدة أسباب من أهمها ما يلى:

أولاً: أن البعث من الموضوعات الهامة والخطيرة في الإسلام ولذا أفرغ له القرآن الكريم العديد من العرض في سوره وآياته.

ثانياً: أن البعث من أكثر الموضوعات صعوبة في تاريخ الفكر الإسلامى، وذلك بسبب كثرة الآراء فيه بين المتكلمين والفلاسفة وتضاربها في كيفيته.

ثالثاً: أن هناك كثيراً من الناس من طمس الله على بصائرهم فأنكروا هذه العقيدة الصحيحة وقالوا كما أخبرا القرآن الكريم قال تعالى: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا

(١) سورة الزلزلة الآيات: ٧ ـ ٨.

لَمَبْعُوثُونَ﴾[1].مع أن الإعادة على الله أهون من الابتداء فى مفهوم البشر والإفليس عند الله هين وأهون.

ولقد قسمت البحث إلى خمسة مباحث رئيسية:

المبحث الأول: المقدمات التى تسبق البعث يوم القيامة.

المبحث الثانى: تعريف البعث والأدلة القطعية على إثباته..

المبحث الثالث: كيفية البعث والاتجاهات والآراء التى دارت حولها.

المبحث الرابع: المنكرون للبعث والشبه التى استندوا إليها.

المبحث الخامس: حكم الإيمان بالبعث وأثره في نفوس المسلمين.

المبحث الأول
المقدمات التى تسبق البعث يوم القيامة
النفخ في الصور

تعريف الصور:

الصور هو القرن الذى ينفخ فيه، وهو عبارة عن مكبر الصوت في العصر الحديث[1].

ويؤكد لنا هذا المعنى الحديث الذى رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أنه قال ـ قال أعرابى يا رسول الله ما الصور؟ قال من مقدمات البعث النفخ في الصور والصور هو القرن الذى ينفخ فيه[2].

ويقول الإمام القرطبى في تفسيره: الصور قرن من نور ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء والثانية للإنشاء، وليس جمع صور كما زعم بعضهم أى نفخ في صور الموتى[3].

والقول بأن الصور قرن من نور... لم أجد دليلاً من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على أن الصور من نور أو نحوه من الصفات الأخرى نحو الذى قدمه الإمام القرطبى.

---

(١) سورة الواقعة من الآية رقم : ٤٧.

(١) اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام د/ فرج الله عبد البارى أبو عطا الله ص ١٢٠.

(٢) الحديث ـ أخرجه الإمام ابن ماجة في كتاب الزهد باب ذكر البعث ـ المجلد الثانى ص ١٤٢٨، طبعة ـ بيروت لبنان.

(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم ـ الإمام القرطبى ج٧ ص ١٥ المطبعة الأولى ١٩٨٨م دار الكتب العلمية ـ بيروت.

وأرى معه بأن الصور ليس جمع صورة، أي أن كل ميت له صورة ينفخ فيها فيحيا صاحبها، لأن هذا القول يخالف كذلك ما جاء في الكتاب المبين والسنة النبوية المطهرة فيكون جميع هذا من قبيل الدخيل في التفسير وليكن المسلم الحاذق على حذر منه[1].

ومن أسماء الصور الناقور ـ قال تعالى قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾[2].

ويقول العلامة ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة قال ابن عباس ومجاهد والشعبي وزيد بن أسلم والحسن وقتادة والضحاك والربيع ابن أنس والسدى وابن زيد: الناقور الصور قال مجاهد وهو كهيئة القرن[3].

الملك الموكل بالنفخ في الصور:

إن الله عز وجل قد وكل ملكاً ينفخ في الصور إيذاناً بوقوع الصعقة وقيام القيامة، وقد دلت الأحاديث الواردة أن الملك الذى وكل بهذه النفخة هو اسرافيل عليه السلام وأنه قد استعد لها وتهيئاً[4].

ويدل على ذلك الحديث الذى رواه أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ـ إن الله عز وجل يأمر إسرافيل ينفخ نفخة الصعق فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله فإذا اجتمعوا أمواتاً جاء ملك الموت إلى الجبار فيقول.

قد مات أهل السماء والأرض إلا من شئت فيقول الله سبحانه وهو أعلم من بقى، فيقول يا رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت، وبقى حملة العرش، وبقى جبريل وميكائيل واسرافيل، وبقيت أنا ـ فيقول الله عز وجل ليمت جبريل وميكائيل، فينطق الله عز وجل العرش ـ فيقول أى رب يموت جبريل وميكائيل ؟ فيقول اسكت إنى كتبت الموت على كل من تحت عرشى فيموتان ـ قال ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار جل جلاله ـ فيقول يا رب قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله سبحانه وهو أعلم من بقى؟

---

(١) حولية كلية أصول الدين بأسيوط ج٢ العدد ٢١ لسنة ٢٠٠٣ بحث تحت عنوان من أحوال يوم القيامة في القرآن ص ١٢٠.

(٢) سورة المدثر الآيات رقم : ٨ ـ ٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم ـ العلامة ابن كثير ج٤ ص ٤٤٢ الطبعة الأولى ١٩٩١م ـ الدار المصرية اللبنانية.

(٤) الثقافة الإسلامية في العقيدة والشريعة والأخلاق د/ سيد عبد العزيز السيلى ص ٦٧.

فيقول يا رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقى حملة عرشك وبقيت أنا ـ فيقول ليمت حملة العرش فيموتون، فيأمر الله العرش فيقبض الصور من اسرافيل، ثم يقول ليمت اسرافيل فيموت، ثم يأتى ملك الموت فيقول يا رب قد مات حملة عرشك فيقول وهو أعلم من بقى فيقول بقيت أنت الحى الذى لا تموت ـ وبقيت أنا فيقول الله أنت خلق من خلقى خلقتك لما رأيت فمت فيموت، فإذا لم يبق إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحداً.

فكان كما كان أولاً طوى السماء كطى السجل للكتاب، ثم قال أنا الجبار ﴿لمن الملك اليوم﴾ فلم يجبه أحد فيقول جل ثناؤه وتقدست أسماءه[1] ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[2].

كيفية النفخ في الصور:

قال مقاتل - إن اسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كعرض السموات والأرض، وهو شاخص بصره نحو العرش، ينتظر متى يؤمر، فينفخ النفخة الأولى، فإذا نفخ صعق من في السموات والأرض، أى مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله، وهو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت.

ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الأولى في البرزخ أربعين سنة.

ثم يحيى الله تعالى اسرافيل، فيأمره أن ينفخ النفخة الثانية فذلك قوله تعالى قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[3] على أرجلهم ينظرون إلى البعث"[4].

عدد النفخات في الصور:

اختلف العلماء في عدد النفخات في الصور بعد اتفاقهم على أنه مما يسبق القيامة والبعث فمن العلماء من اعتبر أن عدد النفخات ثلاث من هؤلاء العلماء: ابن كثير في كتابه

---

(١) الحديث أخرجه الإمام المنذرى في كتابه الترغيب والترهيب باب أهوال القيامة ـ فصل ذكر البعث ـ المجلد الرابع ص ١١٢ المكتبة التوفيقية.

(٢) سورة غافر آية رقم : ١٦.

(٣) سورة الزمر آية رقم : ٦٨ .

(٤) إحياء علوم الدين ـ الإمام الغزالى ج٥ ص ١٣٩ .

النهاية في الفتن والملاحم يقول: النفخات ثلاث نفخات نفخة الفزع ثم نفخة الصعق ثم نفخة البعث وذهب بعض العلماء إلى أن عدد النفخات اثنان.

والصحيح أن النفخ إنما هو مرتان لا ثلاث لأن نفخة الفزع هى نفخة الصعق، لأنه لو كانت نفخة الفزع غير الصعق لاقتضى ذلك أن يكون بقاء الناس بعدها أحياء ما شاء الله.

ويكون هناك ليل ونهار حتى تأتى نفخة الصعق التى يموت لسماعها جميع الخلائق.

ولا يلزم من زلزال الأرض أن تكون عن نفخة فأنا نشاهد تحرك الأرض ومبدها من عليها وما عليها من جبال ومياه، كالسفينة في البحر إذا تلاطمت أمواجه من غير نفخ، وإنما تلك الزلزلة من أشراط الساعة ومقدماتها كسائر أشراطها[1].

المقدار الذى ما بين النفختين:

روى الإمام مسلم في صحيحه - عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما بين النفختين أربعون - قالوا "أى الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين" أربعين شهراً؟ قال أبيت، ثم يأمر الله من السماء ماء فتنبتون كما ينبت البقل قال وليس من الإنسان شئ يبقى إلا عظماً واحداً.

وفى رواية: لا تأكله الأرض أبداً وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة[2].

ويقول الإمام القرطبى - إن قول أبى هريرة أبيت فيه تأويلان:

الأول: أبيت أى امتنعت وسكت من بيان من بيان ذلك وتفسيره. وعلى هذا كان عنده علم من ذلك، أى سمعه عن النبى صلى الله عليه وسلم.

الثانى: أبيت - أى أبيت أن أسأل عن ذلك النبى صلى الله عليه وسلم - وعلى هذا لم يكن عنده على علم من ذلك، والأول أظهر، وإنما لم يبينه لأنه لم ترهق ذلك حاجة، ولأنه ليس من البينات والهدى الذى أمر بتبليغه[3].

---

(1) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة - الإمام القرطبى ج1 ص ١٧٩ .

(2) الحديث رواه الإمام البخارى في صحيحه - المجلد الرابع عشر ص ١٢٣ - باب قيام الساعة كتاب رقم ٤ - طبعة دار الغد

(3) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة - الإمام القرطبى ج1 ص ١٥٣ .

المستثنى من الصعق عند النفخة الأولى:

اختلف العلماء في المستثنى من هو؟

فقيل الملائكة، وقيل الأنبياء، وقيل الشهداء واختاره الحلبى قاله وهو مروى عن ابن عباس أن الاستثناء لأجل الشهداء؟

فإن الله تعالى يقول في شأنهم: ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1]

وقال الشيخ أبو العباس: والصحيح أنه لم يرد في نفيهم خبر صحيح والكل محتمل[2].

ويقول الشيخ سيد قطب ـ في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[3].

وفى غير ضجيج ولا عجيج هنا تجتمع الخلائق ذلك أن كل شئ فى هذا المشهد يتم بهدوء وتتحرك في سكون ضمانا للتناسق في جو المشهد كله من بدئه إلى نهايته[4].

الدجال والنفخ فى الصور:

ذكر الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله - ﷺ - يخرج الدجال فى أمتى أربعين لا أدر أربعين يوماً أو أربعين شهراً وأربعين عاماً.

قال فيبعث الله عيسى بن مريم عليه السلام فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة، فلا يبقى أحد على وجه الأرض فى قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه، قال سمعتها من رسول الله - ﷺ - قال فيبقى شرار فى خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم الشيطان فيقول لهم أما تستجيبون؟ فيقولون فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى قال وأول من يسمعه رجل يلوط "أى

---

(1) سورة آل عمران آية رقم: ١٦٩.

(2) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ـ الإمام القرطبى ج١ ص ١٥٤.

(3) سورة الزمر آية رقم: ٦٨.

(4) مشاهد القيامة في القرآن ـ الشيخ سيد قطب ـ ص ١٤٤.

يصلحه" حوض ابله فيصعق ويضعف الناس، ثم يرسل الله مطراً كأنه الظل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى "فإذا هم قيام ينظرون"[1]

ثم يقال: "أيها الناس هلموا إلى ربكم وقفوهم إنهم مسئولون"[2]

ثم يقال: أخرجوا بعث النار فيقال من كم؟

فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة و تسعين ـ قال فذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق[3].

ويقول الإمام الفخر الرازى ـ عن تأثير النفختين إماتة وإحياء: كيف صارت النفختان مؤثرتين في أمرين متضادين الإحياء والأمانة.

يقول: لا مؤثر غير الله تعالى ـ والنفخ علامة، ثم إن الصوت الهائل يزلزل الأجسام فعند الحياة كانت أجزاء الحى مجتمعة تزلزلها فحصل فيها تفريق، وحالة الموت كانت الأجزاء متفرقة فزلزلها فحصل فيها اجتماع، فالحاصل أن النفختين يؤثران تزلزلا وانتقالا للأجرام، فعند الاجتماع تتفرق وعند الافتراق تجتمع[4].

تعقيب:

من خلال ما سبق يتضح ـ أن النفخ في الصور أول حال من أحوال يوم القيامة بل أول هول من أهوالها.

ففى النفخة الأولى يحصل خراب الدنيا وموت جميع العالمين في السموات ومن في الأرض، إلا من شاء الله، فيالها من بغته عصيبة وفزع صاعق شديد، ثم ينفخ في الصور النفخة الثانية فيقوم الناس لرب العالمين لفصل القضاء والجزاء.

ويفهم من تسمية هذا اليوم بيوم القيامة ان الناس يقومون فيه بعد موتهم، فهل النفخة الأولى ليست من يوم القيامة أو ليس منه؟

---

(١) سورة الزمر آية رقم : ٦٨ .

(٢) سورة الصافات من الآية رقم : ٢٤ .

(٣) الحديث ـ أخرجه الإمام ابن ماجه في كتاب الفتن باب رقم ٢ (طلوع الشمس من مغربها) ص ١٣٦ طبعة بيروت لبنان .

(٤) التفسير الكبير ـ الإمام الفخر الرازى ج٥٦ ص ٨٨ الطبعة الثالثة ١٩٨٥م ـ طبعة دار الفكر

تكون النفخة الأولى ليست من يوم القيامة، اللـهم إلا إذا اعتبرناها مقدمة لذلك، لأن الناس لا يقومون إلا بعد موتهم[1].

فتفكر في الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفاً من هذه الصعقة، وانتظاراً لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم، بل إن كنت في الدنيا من المترفهين والأغنياء المتنعمين فملوك الأرض في ذلك اليوم أذل أهل أرض الجمع، وأصغرهم وأحقرهم يوطئون بالأقدام مثل الذره..

وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة رؤوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها.

ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[2] ثم أقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها وإذ عنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾[3] فتفكر في حالك وحال قلبك هنالك"[4].

المبحث الثانى
تعريف البعث والأدلة القطعية على إثباته

أولاً: تعريف البعث:

عرف العلماء البعث بأنه ـ توجه الشئ إلى ما كان عليه والمراد ههنا الرجوع إلى الوجود بعد الفناء، أو رجوع أجزاء البدن إلى الاجتماع بعد التفريق، وإلى الحياة بعد الموت، والأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة [5]

---

(١) حولية كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط العدد الحادى والعشرون ج٢ ص ١٢١٣ بحث تحت عنوان ـ من أحوال يوم القيامة في القرآن الكريم.

(٢) سورة التكوير آية رقم: ٥.

(٣) سورة مريم آية رقم: ٦٨.

(٤) إحياء علوم الدين ـ الإمام الغزالى ج٥ ص ١٣٩.

(٥) شرح المقاصد ـ الإمام سعد الدين التفتازانى ج٥ ص ٨٢.

ويعرف البعث أيضاً بأنه : إحياء الله الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع الأجزاء الأصلية التى من شأنها كالظفر.

ويعرف بأنه: إعادة الأجزاء الأصلية لا إعادة الأجزاء الفاضلة وهذه التعريفات كلها تجمع على إحياء الموتى بأجسادهم بعد الموت وخروجهم من القبور[1].

أرض البعث:

قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[2]

ويقول عز من قائل: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[3].

هذه الآيات الكريمة تفيد أن الأرض التى سيبعث الناس منها يوم القيامة هى كوكب الأرض الذى نعيش عليه اليوم في الحياة الدنيا.

فهى الأرض التى ماتت فيها الأجساد وتحللت إلى عناصرها المعدنية بعد أن تركت بذوراً متجرثمة تظل ساكنة في التراب إلى أن يحين اليوم الموعود ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾[4].

ولقد بين لنا القرآن الكريم أن كوكب الأرض لن يظل على طبيعته التى تألفها اليوم وإنما ستعتريه تغيرات جذرية هائلة هى جزء مما سيصحب الكون كله من تغير وتبدل لجراثيم الآدمية قد تراكم عليها عبر أحقاب الزمان طبقات وطبقات من الصخور الرسوبية والمتحولة ولربما النارية "أى التى تنشأ من مقذوفات البراكين" التى أحكمت الحلقات من حولها ويتطلب إنبات هذه الجراثيم أن تحرث الأرض حرثاً جيداً وتدك دكا لتتحرر من قبضات الصخور وتتهيأ لأعظم عملية إنبات..

وذلك بان تهتز الأرض وتضطرب بطولها وعرضها وتزلزل زلزالاً عنيفاً.

---

(1) اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام د/ فرج الله عبد البارى ص ١٢٤ .

(2) سورة طه آية رقم : ٥٥ .

(3) سورة الأعراف آية رقم : ٢٥ .

(4) البعث يوم القيامة برؤية عصرية أ/ محمد شكرى حسن ص ٩٣ .

وترج بما فيها كرج الغربال بما فيه، فتزول الجبال وتتساوى المهاد وتبقى الأرض قاعاً صفصفا، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا أى لا وادى ولا جبل وتتحول جلاميد الصخور الصلبة إلى تربة هشة مفككة الحبيبات كالرمال السائلة أو الصوف المنفوش[1].

قال تعالى قال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً﴾[2].

ويقول أيضاً: ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً فيذرها قاعاً صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا[3].

ماء البعث:

قال تعالى: ﴿والذى نزل من السماء ماءً بقدر فأنشئنا به بلد ميتاً كذلك تخرجون﴾[4].

وحيث أن البعث كما هو ثابت من الكتاب والسنة عملية إنبات والإنبات يتطلب أن تروى الحقول بالماء، فإن الأرض بعد أن دكت دكاً وحرثت تربتها حرثا جيداً، وصارت حبيبتها مفككة، وتحررت البذور الآدمية من أغلالها، لا يبقى إلا أن يروى هذا الحقل العظيم بالماء لتستعيد الجراثيم الكامنة فى تربة البعث حيوتها وتنشط لتحقيق غايتها العظيمة التى مكثت فى حرزها المكنون أحقابا وأحقابا فى انتظار إنجازها.

والآن جاء اليوم الموعود، وحانت الساعة المرتقبة، فينطلق الأمر من الحكيم الجبار وما بين الكاف والنون تكون أبواب السماء قد فتحت مدراراً بماء منهمر، وفى لحظات كلمح البصر أو هو أقرب تتحول اليابسة إلى مستنقع هائل من الطين اللازب والحمأ المسنون[5].

ثم يأمر الله سبحانه وتعالى السماء أن تمطر ماءً لتنبت الناس كما نبت النبات.

---

(1) البعث يوم القيامة برؤية عصرية أ/محمد شكرى حسن ص ٩٣.

(2) سورة الواقعة ـ الآيات ٤ ـ ٦.

(3) سورة طه الآيات ١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ١٠٧.

(4) سورة الزخرف الآية رقم: ١١.

(5) البعث يوم القيامة برؤية عصرية أ/محمد شكرى سن ص ٩٦.

وإذا كانت وظيفة الماء بالنسبة للنبات هى إذابة المواد الغذائية ليسهل على الجذور امتصاصها، فضلا من أن العناصر التى يتركب منها وهى الأوكسجين والأيدروجين تدخل ضمن العناصر التى تكون المادة الحية بالخلية النباتية.

كذلك ستكون أهمية الماء بالنسبة لإحياء الموتى يوم القيامة، ذلك أن نمو الجراثيم الآدمية يتطلب توافر كم هائل من المركبات الأولية اللازمة لبناء المادة الحية.

والماء وعناصره يدخل بشكل أساسى في تكوين هذه المركبات العنصرية، فضلاً عن دوره الحيوى في تنظيم درجة حرارة الخلية الحية وكونه الوسط الذى تتم فيه جميع التفاعلات الحيوية، والراجح أن ماء البعث يحتوى على مواد منشطة تعمل على تنبيه الخلايا المتجرثمة لتستيقظ من ثباتها العميق وتعاود نشاطها وحيوتها[1].

يوم البعث وأول من يبعث يوم القيامة:

لقد ثبت في السنة النبوية المطهرة أن البعث يكون في يوم الجمعة فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى - ﷺ - أنه قال: "خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة"[2].

روى الإمام البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تخبرونى عن موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدرى أكان موسى فيمن صعق فأفاق قبلى أو كان ممن استثنى الله عز وجل"[3].

---

(1) نفس المصدر السابق ص ٩٧ .

(2) الحديث ـ أخرجه الإمام المنذى في الترغيب والترهيب مجلد رقم ١ باب الصلاة ـ فضل فضائل يوم الجمعة ص ١٦٢ طبعة المكتبة التوفيقية ـ وقل رواه البخارى ومسلم .

(3) الحديث ـ رواه الإمام البخارى في صحيحه ـ باب النفخ في الصور كتاب رقم ٢٠٦ المجلد الثالث ص ٤٠ طبعة دار الغد

يبعث كل عبد على ما مات عليه:

روى الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: "يبعث كل عبد على ما مات عليه"(١).

عن أبى هريرة - رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله - ﷺ - "والذى نفسى بيده لا يكلم أحد فى سبيل الله والله أعلم بمن يكلم فى سبيله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثغب دماً اللون لون الدم والعرق عرق المسك"(٢).

وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال: أن رجلا كان مع رسول الله - ﷺ - محرماً فوقصته ناقة فمات فقال رسول- ﷺ- "غسلوه بماء وسدر وكفنوه فى ثوبه ولا تمسوه بطيب ولا تغمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً"(٣).

ثانياً: الأدلة القطعية على إثبات عقيدة البعث:

أ- الأدلة على البعث من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة:

لقد عرض القرآن الكريم البعث في مواضع كثيرة، وفى مناسبات عديدة، وأكده بأساليب متنوعة، واستدل عليه بأدلة قويه، ولم يترد القرآن الكريم في الحكم على منكره بالكفر(٤).

قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِيَ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدونَ﴾ (٥)

ولقد حرص القرآن العظيم في حديثه عن إحياء الموتى وبعثهم من القبور على مخاطبة العقول المستنيرة بجملة من الأدلة المتنوعة الكفيلة بإفادة اليقين، والقطع بإمكان البعث، وشمول قدرة

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم فى صحيحه - كتاب البعث - باب ١٣٠ - مجلد رقم ١٣ ص ٢٢ طبعة دار الغد

(٢) الحديث أخرجه الإمام النووى فى صحيحه باب فضل الشهداء مجلد رقم ٢ ص ١٨ طبعة دار الفكر

(٣) الحديث - أخرجه الإمام البخارى في صحيحه - كتاب الحج باب من مات محرماً - المجلد الثانى ص ١٨٠ - طبعة دار الفكر.

(٤) في العقيدة والأخلاق د/ أحمد عبده حموده الجمل ص ٢٥.

(٥) سورة الرعد آية رقم: ٥.

الله تعالى لإحياء الموتى، وسنكتفى بذكر ثلاثة أدلة اهتم القرآن الكريم بها وعول عليها في مواضع كثيرة من استدلاله على إمكان البعث[1].

وهذه الأدلة هى:

١ - دليل النشأة الأولى.

٢ - دليل إحياء الأرض بعد موتها.

٣ - دليل خلق السموات والأرض[2].

الدليل الأول : دليل النشأة الأولى:

وهو يعتمد على حقيقة مقررة في الفطرة السليمة وهى ضرورة وجود الإله الموحد لهذه الكائنات من حيث أنها جميعاً ممكنات، فإذا ما تقرر في الفطرة وجود الإله الواجب المتصف بالقدرة التى لا نهاية لها المبدع لهذا الوجود الواهب لهذه الحياة، كان لا ريب قادراً على أن يعيد الحياة مرة أخرى إذا ما أراد وصار أمر البعث ذلك بالنسبة إليه تعالى ممكنا ومقدوراً لا يتشكك فيه الإضعاف العقول، أو المغاندون المبطلون والمتبجحون المتعسفون[3].

قال تعالى: ﴿قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً * أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[4].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[5].

فلو زعم أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان أن يأتى بأحسن من هذه الحجة أو بمثلها بألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز ووضوح الدلالة وحجة البرهان لما قدر؟

---

(١) دراسات في العقيدة وعلم الكلام ت طبعة وزارة الأوقاف المصرية ص ١٥٤ .

(٢) شرح المقاصد ـ الإمام سعد الدين التفتازانى ج٥ ص ٨٢ .

(٣) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ـ العلامة ابن أبى العز الحنفى ج٢ ص ١١٦ .

(٤) سورة الإسراء آية رقم ٥٠ ـ ٥١ .

(٥) سورة يس آية رقم : ٧٨ .

فإنه سبحانه وتعالى أفتح هذه الحجة بسؤال ورده ملحد اقتضى جوابا فكان في قوله (ونسى خلقه) ما يفى بالجواب وإقامة الحجة وأزل الشبهة لما أراد سبحانه تأكيداً للحجة وزيادة تقريرها فقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِيَ أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[1].

فاحتج بالابتداء على الإعادة وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى إذ كل عاقل يعلم ضروريا، أن من قدر على هذه (قدر على هذه) وأنه لو كان عاجزاً عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز.

ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق وعلمه بتفاصيل خلقه أتبع ذلك بقوله: ﴿وهو بكل شئ عليم﴾[2].

فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته ومواده وصورته،فكذلك الثانى، فإذا كان تام العلم كامل القدرة، كيف يتعذر عليه أن يحيى العظام وهى رميم[3].

وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[4].

وهذا الدليل كما نرى من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى عناء فى التفكير، بل يكفى فيه مجرد أن يتذكر الإنسان نشأته الأولى ليدرك إمكان الحياة مرة أخرى[5].

الدليل الثانى ـ دليل إحياء الأرض بعد موتها:

وهو من الأدلة التى احتفى بها القرآن الكريم لقد أورده فى صورة بيانية رائعة تحمل العقول السليمة على القطع بإمكان البعث[6].

---

(1) سورة يس من آية رقم : ٧٩ .

(2) سورة يس من الآية رقم : ٧٩ .

(3) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ـ العلامة ابن أبى العز الحنفى ج٢ ص ١٢٠ .

(4) سورة الروم آية رقم : ٢٧ .

(5) دراسات في العقيدة وعلم الكلام ـ طبعة وزارة الأوقاف المصرية ص ١٥٥ .

(6) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ـ ابن أبى العز الحنفى ج٢ ص ١٢١ .

يقول تعالى: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ* ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

ولقد استند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هذا النوع من الاستدلال القائم على المشاهدة والعيان، فقد قال أبو ذر ابن العقيلى: قلت يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق وما آيات ذلك فى خلقه؟ فقال - ﷺ - "أما مررت بوادى قومك جدبا ثم مررت به يهتز خضراً قلت نعم قال فتلك آية الله في خلقه كذلك يحيى الله الموتى"[2].

ولا مراء في أن الإله العظيم الذى أبدع الأرض على هذا النمط وأودع فيها تلك الخصائص وأفاض عليها من الطاقات والقوى ما به تتحدد الحياة وتزدهر الثمار المختلفة في مذاقها وطعمها وشكلها.

ولا مراء في أن الإله الذى قدر على هذا قادر على أن يحيى الموتى وان يبعثهم من قبورهم.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِيَ أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [3].

الدليل الثالث: دليل خلق السموات والأرض:

وإليه أشار المولى بقوله قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَآ أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[4].

ومؤدى هذا الدليل هو: أن من قدر على إيجاد الأمور الهائلة العظيمة هو بلا شك قادر على إيجاد الأقل منها والأصغر وإيجاد الإنسان - في منطق البشر - لا ريب أصغر وأهون من خلق

---

(1) سورة الحج - الآيات ٥ - ٦.

(2) الحديث - أخرجه الإمام مسلم في صحيحه المجلد السادس عشر ص ١٤٣ - باب اعادة الخلق طبعة إحياء التراث العربى.

(3) دراسات في العقيدة وعلم الكلام - طبعة وزارة الأوقاف المصرية ص ١٥٦

(4) سورة فصلت آية رقم: ٤٠.

(5) سورة يس آية رقم: ٨١.

هذا العالم الفسيح ذى الاراضين والسموات بكل ما فيها من جبال وبحار وأنهار وأشجار وحيوان وطير ونبات، وبكل ما فيها من نجوم وكواكب وأفلاك ومجرات.

وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم التنزيل: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1].

وهكذا يستنطق القرآن الكريم كل من آمن بالله رباً وخالقاً، أن يثق فى قدرته على إعادة الخلق، تلك التى هى أدنى شأنا من خلقه تعالى لما هو أكبر وأعظم (خلق السموات والأرض) وهو بهذا إنما يؤكد على أمر فطرى بدهى.

هو أن استطاعة فعل الأكبر دونها استطاعة فعل الأصغر وبخاصة إذا كان الفاعل هو القادر العظيم فى الحين، فالدليل غاية فى بساطته وبداهته مع قوة حجتيه وبرهنته[2].

وأخيراً نقول ـ لا يمكن البتة أن يكون الإحياء المذكور في جميع هذه الآيات السابقة إلا رد الروح إلى الجسد.

لأن الله سبحانه وتعالى قادر على إفناء جميع العالم جملة، وعلى افناء بعض الأجسام مع بقاء بعضها.

وقادر أيضا على أن يعيد فى الآخرة الناس وسائر الحيوانات التى ماتت فى الدنيا[3].

ثانياً: الأدلة العلمية على إثبات عقيدة البعث:

من المعلوم أن الجسم الإنسانى يتألف من أجزاء صغيرة غاية فى الصغر ومعقدة غاية فى التعقيد، وهى وحدة بناء الجسم المادى بعامه هذه الأجزاء هى ما تعرف علمياً باسم الخلايا، هذه الخلايا دائمة التناقص والتآكل، ودائمة التجدد والتكاثر أيضاً بواسطة الغذاء ومن ثم فالجسم الإنسانى يغير نفسه بنفسه بصفة مستمرة، وهو كالنهر الجارى المملوء دائماً بالحياة.

لا يمكن أن نجد به نفس الماء الذى كان يجرى فيه منذ برهة لأنه لا يستقر، فالنهر يغير نفسه بنفسه دائما، ومع ذلك فهو نفس النهر الذى وجد منذ زمن طويل، ولكن الماء لا يبقى بل

---

(1) سورة غافر آية رقم: ٥٧.

(2) في العقيدة والأخلاق د/ أحمد عبده حموده الجمل ص ٣٠.

(3) لفرق بين الفرق ـ الإمام البغدادى ص ٣٠٧.

يتغير، وجسمنا مثل النهر الجارى يخضع لعملية مستمرة، حتى أنه يأتى وقت لا يبقى فيه أية خلية قديمة لأن الخلايا الجديدة أخذت مكانها، هذه العملية تتكرر فى الطفولة والشباب بسرعة ثم تستمر بشكل ملحوظ فى الكهولة ولو حسبنا معدل التجدد فى هذه العملية فسوف تخرج بأنها تحدث مرة كل عشرين سنة[1].

إن عملية فناء الجسم المادى الظاهرى، تستمر ولكن الإنسان في الداخل لا يتغير، بل يبقى كماكان علمه وعاداته وحافظته وأمانته وأفكاره تبقى كلها كما كانت، أنه يشعر في جميع مراحل حياته بأنه هو الإنسان السابق الذى وجد منذ عشرات السنين، ولكنه لا يحس بأن شيئا من أعضائه قد تغير ابتداء من أظافر رجليه وحتى شعر رأسه.

وفحوى كل ذلك أن الكيان المادى للإنسان دائم التغير والتجدد في الوقت الذى يبقى فيه العلم والعادات والأمانى والأفكار وغيرها دون تغير أى أن الإنسان ليس هو ذلك الكيان المحسوس فقط.

بحيث لو تبدد هذا الكيان وانتهى، انتهى كل شئ بل فيه جانب غير مادى يظل دائماً في حالة استقرار وتواجد مهما تغيرت المادة.

ودليل ذلك لو كان الإنسان يفنى بفناء الجسم لكان لازماً أن يتأثر على الأقل - بفناء الخلايا وتغيرها بالكامل.

ولكننا نعرف جيداً أن هذا لا يحدث، وهذا الواقع يؤكد أن الإنسان أو الحياة الإنسانية شئ آخر غير الجسم هو الروح؟ وهى باقية رغم تغير الجسم وفنائه، وهو كنهر مستمر فيه سفر الخلايا بصفة دائمة.

وهذا هو الذى دعا عالماً أن يصف الإنسان بشئ مستقل بذاته وباق غير متغير رغم التغيرات المتسلسلة فهو يعتقد أن الشخصية هى عدم التغير في عالم التغيرات.

ولو كان الموت فناء للإنسان فمن الممكن أن نقول بعد كل مرحلة من مراحل حدوث هذا التغير الكيماوى الذى يجرى في الجسم إن الإنسان قد مات، وأنه يعيش حياة أخرى جديدة بعد موته.

---

(1) الإسلام يتحدى - وحيد الدين خان ص ١١٧ .

ومعناه أن الرجل الذى أراه في الخمسين من عمره وهو يمشى في الشارع على رجليه ـ قد مات خمس مرات في هذه الحياة القصيرة.

فإذا لم يمت هذا الإنسان بعد فناء أجزاء جسمه المادية خمس مرات فكيف أستطيع أن اعتقد بأنه مات في المرة السادسة على وجه اليقين؟ ولا سبيل له الآن إلى الحياة[1].

أن الحياة العقلية والشعورية للإنسان غير الحياة المادية البدنية له حتى نقول أنها تنعدم بانعدامها بل الأولى باقية مستمرة مغايرة، وعلى ذلك ـ لا نجد حرجا في أن نقول: أن العلم في الجملة ـ يؤيد معتقد الأديان ـ في أن الإنسان له حياة بعد الموت يشعر فيها بلذة أو ألم بعد البعث والحساب على السواء.

وفى ما أفادنا العلم إياه الرد على من زعم أن الحياة ترتبط فقط بالنظام الذرى المادى في الجسم بعامة، والذهن بخاصة.

كما قررنا عنهم سابقاً، بل أنه يكون من الأليق القول بأن بعثرت الذرات المادية في الجسم الإنسانى لا يقضى على الحياة، فإن الحياة شئ آخر وهى مستقلة بذاتها باقية بعد فناء الذرات المادية وتغيرها[2].

لأنه لو صح أن الإنسان على الحقيقة هو البناء المادى فحسب وأن الإدراك والشعور بل والروح يرتبط بذلك البناء ارتباطا عضويا ونوعياً، فلنجرب أن نخلق إنسانا حيا ذا شعور ونحن اليوم نعرف بكل وضوح جميع العناصر التى يتألف منها جسم الإنسان.

وهذه العناصر توجد في الأرض والفضاء الخارجى، بحيث يمكننا الحصول عليها، وقد علمنا بناء النظام الجسمانى، وعرفنا هيكله وأنسجته، ولدينا فنانون مهرة يستطيعون أن يضعوا أجساماً كجسم الإنسان بكل مواصفاتها.

فلنجرب ـ لو كان معارضوا الروح يصرون على حقيقة مبدئهم ولنصع مئات من هذه الأجسام ولنضعها في شتى الميادين في بقعة الأرض الفسيحة ثم لننتظر ذلك الوقت الذى تمشى فيه هذه الأجسام وتتكلم وتأكل بناء على تأثير العالم الخارجى[3].

---

(1) نفس المصدر السابق ص ١١٨، ١١٩ .

(2) نفس المصدر السابق ص ١١٧ .

(3) نفس المصدر السابق ص ١١٩، ١٢٠ .

إن الحياة شئ آخر غير الجسم والروح شئ آخر غير التفاعل بين الجهاز العصبي والعالم الخارجي، وهذه نتائج جد نفيسة في التأكيد على إمكان الحياة بعد الموت.

وإمكان البعث وإمكان الآخرة بعامة ترتكز على معطيات العلم الحديث[1].

ثالثاً : الأدلة العقلية على إثبات عقيدة البعث:

الدليل الأول :

إن عودة ذلك البدن في نفسه ممكن، لأن إعادة المعدوم إما أن تكون ممكنة أو لا تكون ممكنة فإن كانت ممكنة فالمقصود حاصل، وإن لم تكن ممكنة فإن الدليل العقلي قد دل على إن الأجسام تقبل العدم،ولم يدل على أنها تعدم لا محالة.

فلما ثبت بالنقل المتواتر عن دين الأنبياء أن القول بحشر الأجساد حق، وثبت أن الأجسام لو عدمت امتنع إعادتها، أن ذلك دليلاً قاطعاً على أن الله تعالى لا يعدم الأجساد بل يبقيها بأعيانها وإذا كانت باقية بأعيانها فهى قابلة للحياة والعقل والقدرة. وحينئذ يصح القول بان عودة ذلك البدن بعينه ممكنة[2].

لأنه لو استحال وجود المعدوم بعينه لوجد أولاً لكن التالى باطل فما أدى إليه من الاستحالة باطل فثب نقيضها وهو إمكان الإعادة[3].

الدليل الثانى :

إن الشئ إذا لم يكن ثم كان واعدم كانت إعادته أيسر وأهون على من بدأه أول مرة ثم اعدمه وأفناه.

والذى بنى داراً ثم هدمها لا يستحيل عليه ولا في حقه إعادة بنائها كما كانت أو خيراً مما كانت.

والذى يضع آلة من الآلات مخترعا لها لا يستصعب عليه أن يعيدها كما كانت إذا هو كسرها بإرادته واختياره بحولها إلى آلة أفضل منها من قبل[4].

---

(1) في العقيدة والأخلاق د/ أحمد عبده حموده الجمل ص ٢٤ .

(2) مذاهب فلاسفة المشرق د/ عاطف محمد العراقى ص ٢٤١ .

(3) محاضرات في التوحيد د/ عابد منصور عابد ص ٣٥ .

(4) عقيدة المؤمن ـ الشيخ أبو بكر الجزائرى ص ٢٥٦ .

لأن الإعادة أهون من الابتداء، وله المثل الأعلى، لأنه استفاد بالوجود الأول ملكة الإنصاف بالوجود[1].

وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2].

الدليل الثالث:

إن الله عز وجل هو الذي نقل الإنسان من نطفة إلى علقة ثم إلى مضغة ثم شق سمعه وبصره وركب فيه الحواس والقوى والعظام والمنافع والأعصاب والرطوبات التى هى اشده واحكم خلقه غاية الإحكام.

وأخرجه على هذا الشكل والصورة التى هى أتم الصور واحسن الأشكال، كيف يعجز عن إعادته وإنشائه مرة ثانية.

أم كيف تقتضى حكمته وعنايته أن يتركه سدى؟

فلا يليق بحكمته ولا تعجز عنه قدرته فانظر إلى هذا الاحتجاج العجيب بالقول الوجيز الذى لا يكون أوجز منه والبيان الجليل الذى لا يتوهم أوضح منه،ومأخذه القريب الذى لا تقع الظنون على أقرب منه[3].

وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾[4].

تعقيب:

إن عملية إحياء الجسد الإنساني يوم القيامة بعد موت هذا الجسد في الحياة الدنيا وتحلل خلاياه إلى العناصر المعدنية الأولية التى تركب منها، لنخرج بتصور واضح عن هذه العملية يتفق

---

(1) المواقف ـ العلامة عبد الرحمن الايجى ص ٣٧١.

(2) سورة الروم آية رقم: ٢٧.

(3) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ـ العلامة ابن أبى العز الحنفى ج٢ ص ١٢١.

(4) سورة المؤمنون آية رقم: ١١٥.

مع ما جاء عنها في القرآن الكريم وأحاديث النبى ـ ﷺ ـ الصحيحة وسنة الله في خلق الكائنات الحية والتى تجلت في الاكتشافات العلمية الحديثة لعلماء الإحياء والكيمياء الحيوية[1].

لأن الاكتشافات الحديثة للحقائق المبهرة في عالم الخلية ونواتها قد خدمت قضية البعث بعد الموت، حيث قدمت هذه الاكتشافات الدليل الحى على أن صفات الإنسان مكتوبة في كتاب حفيظ بلغة محكمة كل الإحكام، وأنه يمكن بنواة خلية واحدة بناء نسخة طبق الأصل من الجسد الذى أخذت منه هذه النواة.

ومع ذلك فهناك من البشر من يسئ فهم واستخدام هذا العلم العظيم فبدلاً من أن يرى من هذه المكتشفات دليلا على القدرة الإلهية والإبداع الفنى للخالق العظيم الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى.

نجده يتطاول على الله ويصور له شيطانه أنه توصل إلى السر الذى سيحوله من مخلوق إلى خالق، وأنه سيتمكن من تصميم الكائنات الحية وفق هواه ونزواته الطائشة ثم خرج علينا بتسمية جائزة لهذا العلم أطلق عليه (الهندسة الوراثية).

وكان خلق الكائنات الحية قبل هذه الاكتشافات كان يتم بطرق عشوائية لا تقدير فيها ولا هندسة، فأتى هو ليهندسها وفقاً لمشيئته الخاصة.

لقد نسى هذا الظالم الجاهل أن الذى وضع القواعد التى يتنبه غرورا باكتشافها هو الله تعالى وأن الذى سخر هذه القواعد بحيث يكون طبعه لإرادته هو الله الذى سخر له ما في السموات وما في الأرض وذلك ليبتلى حماقته وظلمه وغروره[1].

وصدق الله العظيم حينما قال في كتابه الجليل: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ اللّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾[2].

---

(1) البعث يوم القيامة برؤية عصرية أ/ محمد شكرى حسن ص ١٤٨.

(1) البعث يوم القيامة برؤية عصرية أ/ محمد شكرى حسن ص ١٥٣.

(2) سورة لقمان آية رقم: ٢٠.

المبحث الثالث

كيفية البعث والاتجاهات والآراء التي دارت حولها

أولاً: كيفية البعث:

لقد بين لنا رسول الله - ﷺ - أن الجسد بعد الموت يبلى ويفنى ولا يبقى منه إلا جزء ضئيل للغاية لا تدركه العين يسمى عجب الذنب حيث يظل هذا الجسم الغامض ساكنا في تربة الأرض محافظا على كيانه، مقاوماً لكل عوامل الفناء والتحلل، وذلك إلى يوم القيامة .

حيث يأمر الله سبحانه وتعالى السماء أن تمطر فتمطر ماء لتنبت الأجساد من عجب الذنب كما ينبت البقل النبات فإذا اكتمل خلق الأجساد واستوى بنيانها وتأهيب لعودة الروح إليها عندئذ ينفخ في الصور نفخه القيامة لتنطلق الأرواح إلى أبدانها فتنشق الأرض ليقوم الناس في صعيد واحد لرب العالمين[1].

فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى - ﷺ - أنه قال ـ كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق الإنسان ومنه يركب الخلق يوم القيامة[2].

وقد يتساءل البعض ـ هل الله سبحانه وتعالى في حاجة إلى حفظ الجراثيم الآدمية لتعيد الأجساد يوم القيامة، وهو القادر على إعادتها من العدم يكن فيكون؟

ونجيب بأن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ قال تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[3].

ولكن شاءت إرادته العلية أن ينظم ملكه فشرع النواميس، وسن النظم، وخلق كل شئ فقدره تقديرا، وما تلك النواميس والقوانين والنظم والتقدير إلا مظاهر لقدرته المطلقة على كل شئ فضلاً عن حكمته البالغة

والله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام ويخرج النبات من حبة صغيرة لتصير رويداً رويداً شجرة كبيرة كثيفة الأعضاء وارقة الظلال والإنسان يبدأ خلقه من نطفة صغيرة ويرتقى في الخلق ليولد طفلاً ضعيفاً .

---

(1) البعث يوم القيامة برؤية عصرية أ/ محمد شكرى حسن ص ٥٩ .

(2) الحديث ـ أخرجه الإمام أبو داود ـ المجلد الرابع عشر ص ٢٣٦ ـ باب ذكر البعث حديث رقم ٤٧٤٣ طبعة دار الفكر .

(3) سورة يس آية رقم ٨٢

وبعد ثلاثين سنة أو نحو ذلك يبلغ أشده وكأن الله سبحانه وتعالى قادراً على أن يوجد كل ذلك في لحظات أو بغير زمان أو بدون أسباب ولكن تلك إرادته فلق الزمان وأوجد المكان وسبب الأسباب، وجعل لكل شئ قدراً، فالكون له من أصغر ذرة فيه إلى أكبر مجرة يعج بالحركة والسعى الدائب تحكمه نواميس محكمة شرعتها قدرة الله المطلقة وحكمته البالغة .

وما حفظ الخلايا المتجرثمة لتعيد الأجسام إلى سيرتها الأولى يوم القيامة إلا مظهر لهذه القدرة المطلقة، ولا يقدر على ذلك إلا الله الحفيظ على كل شئ .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى أخبرنا بأن لديه حفيظا لخواص الأبدان، وإذا كان رسول الله -ﷺ- أخبرنا بأنه لا يبقى من الإنسان إلا عجب الذنب ينبت الخلق يوم القيامة كإنبات البقل، فلا مجال للمجادلة في هذا الشأن[1].

ثانياً : الاتجاهات والآراء التى دارت حول كيفية البعث:

لقد اتفقت الشرائع على وجود البعث وقامت عليه البراهين عند العلماء، ولكن اختلفت الشرائع في صفة وجوده، ولم تختلف في الحقيقة في صفة وجوده، وإنما اختلفت في الشاهدات التى مثلت بها للجمهور تلك الحال الغائبة، وذلك أن من الشرائع من جعله روحانيا أعنى للنفوس، ومنها ما جعله للأجسام والنفوس معاً .

والاتفاق في هذه المسألة مبنى على اتفاق الوحى في ذلك، واتفاق قيام البراهين الضرورية عند الجميع على ذلك[2].

واختلف القائلون أن الأجساد تعاد في الآخرة هل الذى ابتدئ في الدنيا هو الذى يعاد في الآخرة أم لا، فقال قائلون وهم أكثر المسلمون أن المبتدأ في الدنيا هو المعاد في الآخرة، وقال عباد بن سليمان لا أقول هو المبتدأ .

أولاً: أقول هو غيره، وكذلك كان يقول لا أقول المتحرك هو الساكن ولا أقول غيره إذا تحرك الشئ ثم سكن، وكذلك كان يقول لا أقول المحدث هو الذى لم يكن ولا أقول أن ما يوجد هو الذى يعدم[3].

---

(1) البعث يوم القيامة برؤية عصرية أ/محمد شكرى حسن ص ٧٣ .

(2) الكشف عن مناهج الأدلة ـ لابن رشد ص ١٤٩ .

(3) مقالات الاسلاميين ـ الإمام الأشعرى ج٢ ص ٦٢ .

إن الاتجاهات والآراء حول كيفية البعث يمكن حصرها في خمسة:

الاتجاه الأول:

هو قول بعض أهل الجدل بأن الثابت هو المعاد الجسماني فقط وان المعاد ليس إلا لهذا البدن، فهم إذن قد ذهبوا إلى نفي وجود النفس الناطقة المجردة.

الدليل على هذا الاتجاه :

واستدلوا على رأيهم هذا ـ بالقول بأن البدن وحده هو الحيوان وهو الإنسان بحياة إنسانية خلقتا فيه وهما عرضان والموت هو عدمهما فيه أو ضد لهما، وفي النشأة الثانية يخلق في هذا البدن حياة إنسانية بعد تفتيت هذا الجسم، ويصير ذلك الإنسان بعينه حياً[1].

الاتجاه الثاني:

يتمثل في القول بثبوت المعاد الروحاني فقط، وهذا ما ذهب إليه أكثر الفلاسفة الإلهيين الذين رأوا أن الإنسان بالحقيقة هو النفس الناطقة المجردة، وأن البدن آله لهذه النفس تستعمله .

وتتصرف فيه لاستكمال جوهرها، فالنفس الناطقة لا تقبل الفناء أي العدم بعد وجودها، لأنها بسيطة وهو موجودة بالفعل[2].

الاتجاه الثالث:

يعبر عنه المعتقدون بثبوت المعاد بين الروحاني والجسماني معاً. وهو قول سائر المسلمين، وقول معمر من قدماء المعتزلة وقول الكثيرين من الصوفية أيضاً .

والقائلون بهذا النوع من المعاد يجعلون الحياة بوجود النفس للبدن والموت بمفارقة النفس للبدن، ويردون في النشأة الثانية النفس في البدن بعينه الذي كانت فيه، فالنفس إذا رودت إلى البدن كان للمثاب ثواب والمعاقب عقوبة بحسب البدن والنفس جميعاً، أي المثاب لذات بدنية من المحسوسات ولذات نفسانية من السرور[3].

---

(1) مذاهب فلاسفة المشرق د/ عاطف العراقي ص ٢٤٠ .

(2) مذاهب فلاسفة المشرق د/ عاطف العراقي ص ٢٤٠ .

(3) نفس المصدر السابق والصفحة .

الاستدلال على هذا الاتجاه :

فهم يذهبون إلى أن العقل قد دل على أن سعادة الأرواح بمعرفة الله تعالى ومحبته، وأن سعادة الأجسام في إدراك المحسوسات والجمع بين هاتين السعادتين في الحياة غير ممكن، لأن الإنسان مع استغراقه في تجلى أنوار عالم الغيب، لا يمكنه الالتفات إلى شئ من اللذات الجسمانية، ومع استغراقه في استيفاء هذه اللذات، لا يمكنه أن يلتفت إلى اللذات الروحانية، والجمع بين هذين من اللذات الجسمية والروحية يعد متعذراً في هذا العالم، لكون الأرواح البشرية ضعيفة.

فإذا فارقت بالموت واستمدت من عالم القدس والطهارة قويت وكملت، فإذا أعيدت إلى الأبدان مرة ثانية كانت قوية قادرة على الجمع بين الأمرين، ولا شبهة في أن هذه الحالة هى الغاية القصوى من مراتب السعادات[1].

الاتجاه الرابع:

يتمثل في قول قدماء الفلاسفة الطبيعيين الذين ذهبوا إلى عدم ثبوت شئ من المعاد الجسمانى أو الروحانى، فالنفس عندهم هى المزاج وإذا مات الإنسان فقد عدمت النفس، وإعادة المعدوم من المحال.

الاتجاه الخامس:

يتمثل في التعبير عن موقف الشك في التوقف عن الإدلاء برأى من الآراء التى سبق ذكرها والقطع به.

وقد ذهب إلى ذلك (جالنيوسن) فيما يحكى عنه، وذلك في قوله لم يتبين لى أن النفس هى المزاج فينعدم عند الموت ويستحيل إعادتها وهى جوهر باق بعد فساد البدن فيمكن المعاد[2].

تعقيب:

إذا كانت الأقوال والاتجاهات مختلفة في كيفية البعث فإن القول الذى عليه السلف وجمهور العقلاء ـ أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال فتستحيل تراباً ثم ينشئها الله نشأة أخرى، كما استحال في النشأة الأولى فمن كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة ثم صار عظاماً ولحماً، ثم أنشأه خلقاً

---

(1) مذاهب فلاسفة المشرق د/ عاطف العراقى ص ٢٤٠ .

(2) مذاهب فلاسفة المشرق د/ عاطف العراقى ص ٢٤١ .

سوياً، كذلك الاعادة يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب، كما أخبر بذلك الرسول - ﷺ - في الحديث الصحيح.

فالنشأتان نوعان تحت جنس، يتفقان ويتماثلان من وجه ويفترقان ويتنوعان من وجه، والمعاد هو الأول بعينه، وأن كان من لوازم الإعادة ولوازم البداءة فرق، فعجب الذنب هو الذى يبقى وأما سائره فيستحيل فيعاد من المادة التى استحال إليها، ومعلوم أن من رأى شخصاً وهو صغير ثم رآه وقد صار شيخاً علم أن هذا هو ذاك مع أنه دائماً في تحلل واستحالة، وكذلك سائر الحيوان والنبات، فمن رأى شجرة وهى صغيرة ثم رآها كبيرة قال هذه تلك، وليست صفة تلك النشأة الثانية مماثلة لصفة هذه النشأة حتى يقال أن الصفات هى المغيره لاسيما أهل الجنة إذا دخلوها فإنهم يدخلونها على صورة سيدنا آدم عليه السلام.

طوله ستون ذراعاً كما ثبت في كتب الصحاح وروى أن عرضه سبعة أذرع وتلك نشأة باقية غير معرضة للآفات هذه النشأة فانية معرضة للآفات[1].

وأخيراً أقول ـ أن البعث ثبت حقيقة بالجسد والروح كليهما بدليل آيات كثيرة من القرآن الكريم[2].

منها قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾[3].

المبحث الرابع

المنكرون للبعث والشبة التى استندوا إليها

أولاً: المنكرون للبعث:

أجمع المسلمون وأهل الكتاب والبراهمة على إعادة الخلق وجوازها بعد الفناء في الجملة وأن اختلفوا في التفصيل وخالفهم في هذه الجملة فرق عديدة.

الفرقة الأولى: الدهرية المنكرة لحدوث العالم.

الفرقة الثانية: قوم من الفلاسفة أقروا بحدوث العالم وأنكروا الإعادة بعد العدم.

---

(1) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ـ ابن أبى العز الحنفى ص ٢ ص ١٢٢.

(2) اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام د/ فرج الله عبد البارى ص ٣٢٥.

(3) سورة الأعراف آية رقم: ٤٨.

الفرقة الثالثة : قوم من عبدة الأصنام الذين كانوا في عهد النبى صلى الله عليه وسلم أقروا بحدوث العالم وأنكروا البعث والقيامة والجنة والنار

والفرقة الرابعة : قوم من غلاة الروافض المنصورية والجناحية الذين أنكروا القيامة والجنة والنار[1].

ثانيا : شبه المنكرون للبعث والرد عليها :

أ ـ شبه الفلاسفة الطبيعون :

وهم قوم أنكروا البعث مع اعترافهم بالصانع لقد اعترفوا بالصانع لما رأوه في عجائب الطبيعة من تناسق محكم لا يمكن أن يكون وليد المصادفة .

ولكنهم رأوا أن النفس تابعة للبدن ولذلك تفنى بفنائه، وكانت نتيجة ذلك أن جحدوا الآخرة وأنكروا الجنة والنار والحساب[2].

وقالوا لا بعث للبشر أصلا زعما منهم أن هذا الهيكل المحسوس بماله من المزاج والقوى والأعراض، وان ذلك يفنى الموت وزوال الحياة ولا يبقى إلا المواد العنصرية المتفرقة وأنه لا إعادة للمعدوم[3] .

وفيما يلى سوف نعرض لأهم الشبه التى استندوا إليها في إنكارهم لقضية البعث:

الشبهة الأولى :

لو أكل إنسان إنسان بحيث صار المأكول جزءا منه فتلك الأجزاء إما أن تعاد فيها وهو محال أو في أحدهما فلا يكون الآخر معادا بعينه .

الرد على هذه الشبة :

إن المعاد إنما هو الأجزاء الأصلية، وهى الباقية من أول العمر إلى آخره لا جميع الأجزاء وهذه في الأكل فضل فإنا نعلم أن الإنسان باق مدة عمره وأجزاء الغذاء تتوارد عليه وتزول عنه[4].

---

(1) أصول الدين ـ الإمام أبى منصور البغدادى ص ٣٣٢ .

(2) التفكير الفلسفى في الإسلام د/ عبد الحليم محمود ص ٥٦ .

(3) شرح المقاصد ـ العلامة التفتازانى ج٥ ص ٨٩ .

(4) المواقف ـ العلامة ـ عبد الرحمن الايجى ص ٣٧٣ .

الشبهة الثانية :

إن الإعادة لا لغرض عبث لا يليق بالحكيم ولغرض عائد إلى الله تعالى نقص يجب تنزيهه عنه، ولغرض عائد إلى العباد أيضاً باطل لأنه إما إيصال ألم وهو لا يليق بالحكيم وإما إيصال لذة ولا لذة في الوجود سيما في عالم الحس، فكل ما تتخيله لذة فإنما هو خلاص عن الألم ولا ألم في العدم أو الموت ليكون الخلاص عنه لذة مقصودة بالإعادة، بل إنما يتصور ذلك بأن يوصل إليه ألما ثم يخلصه عنه فتكون الإعادة لإيصال ألم يعقبه خلاص، وهو غير لائق بالحكمة .

الرد على هذه الشبهة :

والجواب منع لزوم الغرض وقبح الخلو عنه في فعل الله تعالى ثم منع انحصار الغرض في إيصال اللذة والألم، إذ يجوز أن يكون نفس إيصال الجزاء إلى من يستحقه غرضا ثم منع كون اللذة دفعاً للألم وخلاصاً عنه والألم من الوجدانيات التى لا يشك العاقل في تحققها، وقد سبق تحقيق ذلك ثم منع كون اللذات الأخروية من جنس الدنيوية بحسب الحقيقة ليلزم كونها دفعاً للألم وخلاصاً عنه[1].

الشبهة الثالثة :

قالوا فيها لو أعيد المعدوم بعينه لكان مبتدأ من حيث أنه معاد لكن التالى باطل، فما أدى إليه من إعادة المعدوم بعينه باطل ثبت نقيضه وهو عدم إعادة المعدوم بعينه، أما بطلان التالى فظاهر لما فيه من اجتماع الضدين، لأن المبتدأ والمعاد ضدان لا يجتمعان .

الرد على هذه الشبهة :

إن الإعادة العينية لا تحتاج إلى العوارض التى فيها الوقت وإنما الإعادة تكون بجميع الأجزاء الأصلية، وليس منها الوقت والأجزاء الأصلية هى التى تبقى من أول العمر إلى آخره هى التى تبقى من أول العمر إلى آخره وهى أجزاء المولود حين ولادته، وهى التى لا يتبدل الشخص بتبدلها والوقت ليس كذلك، لأن الشخص واحد في كل وقت .

لو جنى شخص في وقت ثم حكم عليه في وقت آخر، ثم نفذ عليه الحكم في وقت آخر، فالمنفذ عليه هو الشخص الجانى نفسه ولم يتغير وقول الشخص أنا الآن ولم يتغير، وقول

---

(١) شرح المقاصد ـ العلامة التفتازانى ج٥ ص ٩٦ .

الشخص أنا الآن غيرى بلا لأمس إنما يريد التغاير الوهمى لا الحقيقى، لأن هذا التغاير وهمى في الذهن لا حقيقة له في الخارج[1].

والفلاسفة الطبيعيون حكم عليهم الإمام الغزالي بالكفر والزندقة فقال . وهؤلاء أيضا زنادقة لأن أصل الإيمان بالله واليوم الآخر وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر وإن أمنوا بالله وصفاته[2].

فإن الملاحدة المنكرون للبعث والنشور إذا بعثوا من القبور ورأوا عجائب صنع الله تعالى فيهم ندموا ندامة لا تنفعهم، ويتحسرون على جحودهم تحسراً لا يغنيهم، ويقال لهم: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[3] كالذى يكذب بالخواص والأشياء الغريبة، بل لو خلق إنسان عاقلاً ابتداءً وقيل له أن هذه النطفة القذرة المتشابهة الأجزاء تنقسم أجزاؤها المتشابهة في رحم الآدمية إلى أعضاء مختلفة لحمية وعظمية وعرقية وغضروفية وشحمية فيكون منها العين على سبع طبقات مختلفة في المزاج واللسان والأسنان على تفاوتهما في الرخاوة والصلابة مع تحاورهما وهلم جرا أن البدائع التى في الفطرة ـ لكان إنكاره اشد من إنكار الملاحدة[2] حيث قالوا : ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً نَّخِرَةً﴾.

فليس يتفكر المنكر للبعث أنه من أين عرف انحصار أسباب الوجود فيما شاهده، ولم يبعد أن يكون في إحياء الأبدان منهاج غير ما شاهده، وقد ورد في بعض الأخبار، أنه يغمر الأرض في وقت البعث مطر قطراته تشبه النطف، ويختلط بالتراب، فأى بعد في أن يكون في الأسباب الإلهية أمر يشبه ذلك ونحن لا نطلع عليه، ويقتضى ذلك انبعاث الأجساد واستعدادها لقبول النفوس المحشورة، وهل لهذا الإنكار مستند إلا الاستبعاد المجرد[4].

والذين شكوا في هذه الأشياء وتعرضوا لذلك وأفصحوا به، إنما هم الذين يقصدون إبطال الشرائع وإبطال الفضائل وهم الزنادقة الذين يرون أن لا غاية للإنسان إلا التمتع باللذات[5].

---

(1) محاضرات في التوحيد د/ عابد منصور عابد ص ٤٤ .

(2) المنقذ من الضلال ـ الإمام الغزالى ص ١٠٩ .

(3) سورة المطففين آية رقم : ١٧.

(2) تهافت الفلاسفة ـ الإمام الغزالى ص ٣٠٣ .

(4) تهافت الفلاسفة ـ الإمام الغزالى ص ٣٠٣ .

(5) تهافت التهافت ـ لابن رشد ص ٣٩٣ .

ب ـ شبه فرقة من عبدة الأصنام :

لقد جاء وقدمن هؤلاء المنكرون للبعث إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحمل بعضاً من عظام الموتى القديمة وقد بليت، اندفع بها دون تعقل ووعى فقال ـ من يحيى هذه العظام[1] .

فأخبر المولى عز وجل عنه قائلاً :﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِيَ أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[2].

وأخرج بن أبى حاتم من طرق عن مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدى ونحوه وسموا هذا الإنسان الذى نزلت فيه هذه الآيات أبى بن خلق[3].

حيث أخذ عظماً من البطحاء ففتته بيده ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أيحيى الله هذا بعد ما رحم فقال نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم[4].

فانظر معى إلى هؤلاء الملحدون ثم تأمل ما أجيبوا به عن كل سؤال على التفصيل فإنهم قالوا أولاً: ﴿وَقَالُوَاْ أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾[5].

فقيل لهم في جواب هذا السؤال إن كنتم تزعمون أنه لا خالق لكم ولا رب لكم فهلا كنتم خلقاً لا يفنيه الموت كالحجارة والحديد، وما هو أكبر في صدوركم من ذلك فإن قلتم كنا خلقا جديداً .

وللحجة تقدير آخر وهو لو كنتم من حجارة أو حديد أو خلقا أكبر منهما فإنه قادر من أن يغنيكم وخيل دوائكم وينقلها من حال إلى حال ومن يقدر على التعرف في هذه الأجسام مع شدتها وصلابتها بالإفناء والإحاطة ـ فما الذى يعجزه فيما دونها ؟ ثم أخبر أنهم يسألون أخراً بقولهم من يعيدنا إذا استحالت جسومنا وفنيت فأجابهم بقوله : قال تعالى: ﴿أَقُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[6].

---

(1) حولية كلية أصول الدين بأسيوط ج٢ ص العدد ٢١ لسنة ٢٠٠٣ بحث تحت عنوان ـ من أحوال يوم القيامة في القرآن

(2) سورة يس آية رقم : ٧٧ ـ ٧٩ .

(3) أسباب النزول ـ الإمام السيوطى ص ٢٣٠ تحقيق أ / قرنى أبو عميرة .

(4) الحديث ـ أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ المجلد السادس عشر ص ١٤٢ ـ باب إعادة الخلق ـ طبعة إحياء التراث العربى .

(5) سورة الإسراء آية رقم : ٤٩ .

(6) سورة الإسراء من آية رقم : ٥١ .

فلما أخذتهم الحجة ولزمهم حكمها انتقلوا إلى سؤال آخر يتعللون به بعلل المنقطع وهو قولهم منى هو ؟[1] فأجابهم بقوله : (عسى أن يكون قريباً)[2] .

من أجل ذلك فإن الحق تبارك وتعالى وجه نداءه لكل إنسان ينكر البعث في كل زمان ومكان، وكل إنسان يشك في قدرة الله عز وجل حتى يفيق هذا الإنسان من غطرسته وكبريائه وحتى يفيق من غروره وعناده وحتى يفيق من جحوده ونكرانه فقال الحق جل في علاه: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * قال تعالى: (وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾[3].

وإذا دققنا النظر في هذه الآيات الكريمة نجد أن فيها دعامتان قويمتان من الدعائم التى أقيم عليها معتقد البعث عند المسلمين .

الدعامة الأولى :

أن الإنسان خلق من التراب الذى ينكر الآن إعادة خلقه منه بعد أن يتحلل إليه، ولقد دار في دورات الخلق والتكوين وتقلب في أطوارها ترابا ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم جنينا ثم طفلاً ثم تدرج في مدارج الحياة من طفولية إلى شيخوخته، فما الذى يعوق الذى صنع من التراب أولاً أن يعيد الصنعة ثانياً .

الدعامة الثانية :

إن هذه الأرض الهامدة والتى لا حياة فيها ولا زرع، يساق إليها الماء ويصيبها فإذا أجنتها تخرج من كل فج منها[4].

---

(1) سورة الإسراء من آية رقم : ٥١ .

(2) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ـ ابن أبى العز الحنفى ج٢ ص١١٩ .

(3) سورة الحج الآيات : ٥ ـ ٧ .

(4) دراسات في العقيدة الإسلامية والأخلاق ـ تأليف لجنة من قسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر ص ١٨٨ .

تعقيب:

إذا نظرنا في شبهات المنكرين للبعث نجدها على كثرتها لا تخرج عن واحد من ثلاث أمور لأنها أما أن تكون:

أولاً: اتهاما لقدرة الله تعالى على البعث وإعادة الأجسام التى كانت في الدنيا بعد تحللها وفنائها .

ثانياً: أما أن تكون اتهاما لعلم الله تعالى بالأجزاء التى تحللت في الأرض لاسيما إذا أكلتها سباع البر أو حيتان البحر .

ثالثاً: إما أن تكون اتهاما لحكمة الله تعالى في البعث واعتقاده أنه لا فائدة فيها ولا داعى له[1].

فهؤلاء الذين استنكروا البعث رد الله عليهم بأن استبعادهم لا معنى له؟

لأنهم يجهلون عظمة الله وقدرته وعلمه وحكمته ؟ وأنهم لا يبصرون في أنفسهم، فهم أنفسهم أول الدلائل وأقوى الحجج على نفى ما ينكرونه من البعث . فالله أحياهم أولا وأماتهم ثانيا ولا تزال القدرة صالحة لا حيائهم مرة وجمعهم مرة أخرى يوم القيامة، فأى استبعاد في هذا[2] ؟

وصدق الله العظيم حينما قال عن هؤلاء المنكرون في كتابه العزيز وهو أصدق القائلين : ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾[3].

المبحث الخامس

حكم الإيمان بالبعث وأثره في نفوس المسلمين

أولا : حكم الإيمان بالبعث :

إن الإيمان باليوم الآخر هو عبارة عن التصديق الجازم بانقلاب هائل يتم في الكون ـ ويكون انتهاء هذه الحياة الدنيا بكاملها وابتداء حياة أخرى وهى الدار الآخرة بكل ما فيها من حقائق مدهشة من بعث الخلائق وحشرهم وحسابهم ومجازاتهم .

هذا الإيمان ليس واجبا فحسب، بل هو أحد أركان سنة تبنى عليها عقيدة المؤمن، فلا تتم عقيدته إلا به ولا تصح إلا عليه[4].

---

(1) دراسات في العقيدة وعلم الكلام ـ طبعة وزارة الأوقاف المصرية ص ١٥٩ .

(2) العقائد الإسلامية ـ السيد سابق ص ٢٣٧ .

(3) سورة الأعراف من الآية رقم : ١٧٩ .

(4) عقيدة المؤمن ـ الشيخ أبو بكر الجزائرى ص ٢٦١ .

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾[1].

ولكن كيف يؤمن الناس بالبعث والجزاء، ولا يستعدون لما يقتضيه هذا الإيمان من تهذيب نفوسهم وتعديل سلوكهم وتقويم أخلاقهم.

والحق أن الإيمان بالبعث على هذا النحو لا يتسم بالصدق، ولذلك فهو لا يؤتي ثماره ولا يحقق فاعليته أبداً[2].

يقول الإمام الغزالي: وأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر قلوبهم ولم تتمكن من سويداء أفئدتهم، ويدل على هذا شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء، وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما يكتنفها من المصاعب والآلام، بل إذا سئلوا عن الإيمان باليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم، ومن أخبر بأن ما بين يديه من العظام سموم فقال لصاحبه الذي أخبر صدقت ثم مد يديه لتناوله كان مصدقاً بلسانه مكذباً بعمله، وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان[3].

فإن من صفات المؤمنين باليوم الآخر الصادقين في إيمانهم إنهم يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار.

والحق سبحانه وتعالى يوصي محذراً من الدنيا وزخرفها مرغبا في الآخرة الباقية وفي العمل لها في هذه الحياة التي هي فرصة، فإن العمر فرصة، وأن الحياة فرصة، وأن الوقت الذي يمكن العلم فيه فرصة، ولذلك يقول المولى عز وجل في كتابه العزيز: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّىَ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾[4]

لأن الدنيا عرض زائل يأكل منها البر والفاجر والآخرة وعد صدق يحكم فيها ملك قادر، رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه ومهد لرمسه ما دام رضيعاً، وحلبه على غاربه ملقى قبل ان يقتضي أجله وينقطع عمله[5].

---

(1) سورة البقرة آية رقم: ١٧٧.

(2) دراسات في العقيدة وعلم الكلام - طبعة وزارة الأوقاف ص ١٦٤.

(3) إحياء علوم الدين - الإمام الغزالي ج٥ ص ١٣٧.

(4) سورة البقرة آية رقم: ٢٨١.

(5) دراسات في العقيدة وعلم الكلام - طبعة وزارة الأوقاف ص ١٦٥.

لذلك كان من الأساليب التي يستخدمها القرآن الكريم في مخاطبة الوجدان وتحريك المشاعر نحو الإيمان بالله والتصديق بالبعث، عرض صور النعيم التي يتنعم بها المؤمنون في الجنة، وعرض صور العذاب التي يتعذب بها الكافرون في النار.

ومن شأن تلك الأساليب، أن تأخذ بلب الإنسان ليؤمن بالله في والبعث، لينعم بتلك النعم التي أعدها الله للمؤمنين.

وأيضاً تحذر المكذبين بالبعث من المصير الذي يذهب إليه أمثالهم من المنكرين للبعث[1].

يقول المولى عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[2].

ويقول سبحانه: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّىَ إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُواْ الْحَمْدُ للّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[3].

إن الجمع بين مشاهد العذاب في النار والنعيم في الجنة هدف مقصود في القرآن الكريم، ليعرف المؤمنون مصيرهم في الجنة ويعرف المكذبون مصيرهم في النار.

وان هذا التصوير المبدع لمشاهد القيامة هو الذي جعل الجيل الأول من المسلمين يعيش بوجدانه في الآخرة، وهو يخطو بجسده على الأرض، وأوجد في نفوسهم تلك الحساسية الهائلة في كل تصرف يتصرفونه خشية أن يحرمهم من النعيم ويؤدي بهم إلى الجحيم[4].

ونحن إذا نظرنا إلى هذا العالم فنجد أنه بسيط كل البساطة واضح وضوح العقيدة الإسلامية، موت وبعث ونعيم وعذاب، فأما الذين أمنوا وعملوا الصالحات فلهم الجنة بما فيها من نعيم مقيم وأما الذين كفروا وكذبوا بلقاء الله تعالى فلهم النار بما فيها جحيم وسعير، ولا شفاعة هناك ولا فدية من العذاب، ولا اختلال قيد شعره في ميزان العدالة الدقيق[5].

---

(1) اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام د/ فرج الله عبد الباري ص ٤٤٢.

(2) سورة النساء آية رقم: ٥٦.

(3) سورة الزمر الآيات رقم: ٧٣ ـ ٧٤.

(4) اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام د/ فرج الله عبد الباري ص ٤٢٣.

(5) مشاهد القيامة في القرآن ـ الشيخ سيد قطب ص ٢٧.

وصدق الله العظيم حينما قال في كتابه الجليل: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[1].

ثانياً: الآثار المترتبة على الإيمان بالبعث في نفوس المسلمين

هناك آثار عديدة تعود على المسلمين بسبب إيمانهم بعقيدة البعث يمكن حصرها فيما يلي: أولاً: أن الإيمان بالبعث يجعل لحياتنا غاية سامية وهدفا أعلى، وهذه الغاية هي فعل الخيرات وترك المنكرات، والتحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل الضارة بالأبدان والأديان والأعراض والعقول والأموال أي تحقيق معنى الخلافة.

ولابد من تقوية الوازع النفسي إلى يرغب في الخير ويصد عن الشر، ولا يقوى الوازع إلا بكثرة التذكير والتفنن في التصوير وضرب الأمثال المتنوعة حتىّ تعمق جذورها ويقوى تأثيره فيرجع المنكر عن إنكاره ويصحح المخطئ خطأه، ويحدد كل إنسان هدفه الأعلى، حتى لا يضل الطريق أو تتعثر به الخطا[2].

ثانياً: إن الحكمة من المعاد الأخروى الذى هو بعث الخلائق إحياء بعد موتهم وفنائهم أحياء كما كانوا يوم بدأ الله تعالى خلقهم، هو مجازاة المكلفين منهم بحسب كسبهم الإرادي الاختياري الذى كسبوا في هذه الحياة الدنيا ـ لأن الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[3].

فالناس يعيشون في هذه الحياة الدنيا متفاوتين تفاوتا كبيراً في أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم، وفي سعادتهم وشقائهم، فمنهم الظالم الغشوم ومنهم المظلوم المهضوم، ومنهم الصحيح السليم، ومنهم المريض السقيم ومنهم الغنى الثرى، ومنهم الفقير الشقى، ومنهم العزيز، ومنهم الذليل ومنهم المحسن، ومنهم المسئ إلى غير ذلك من التفاوت والاختلافات فلو لم يموتون بانقضاء آجالهم ولا يبعثون لكان ذلك منا فيا للحكمة، مجانبا للعدل والرحمة.

ومن هنا قضى الله تبارك وتعالى بالبعث والجزاء، وحكم بهما فهما كائنان لا محالة[4].

---

(1) سورة الأنعام آية رقم: ٩٤.

(2) العقائد الإسلامية ـ السيد سابق ص ٢٣٢.

(3) سورة آل عمران آية رقم: ١٨٥.

(4) عقيدة المؤمن ـ الشيخ أبو بكر الجزائرى ص ٢٦٠.

فقد أمر رسوله محمد - ﷺ - أن يقسم عليهما في قوله تعالى: قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[1].

وقال جل جلاله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

ثالثاً: أن الإيمان بالبعث والجزاء يحفظ لفعل الخير قيمته وقدسيته ويمنحه حيوية تتمثل في حبه له، وحرصه عليه والرغبة القوية في مداومته رجاء أجر عظيم وخير أسمى وعد به الله وبشرت به الأنبياء[3].

يقول تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[4].

ويقول سبحانه: قال تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾[5].

ويقول الرسول - ﷺ - في الحديث النبوى الشريف: "والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن على ما تعملون ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءاً وأنها لجنة أبداً أو لنار أبداً "[6].

تعقيب: إن معتقد الإيمان بالله واليوم الآخر بما فيه من بعث، هو رأس كل عقيدة، وأساس كل إيمان وعليه مدار استقامة الإنسان وصلاح خلقه وطهارة روحه، وبدونه فالإنسان مخلوق لا خير فيه لنفسه ولا لغيره وهو شر كله لا يؤمن من جانبه ولا يطمأن إليه ولا تسكن النفوس عنده وذلك لما انعدم عنده من أصول الخير وينابيع النبيلة والكمال البشرى[7].

---

(1) سورة التغابن آية رقم: ٧.

(2) سورة النحل الآيات: ٣٨ - ٤٠.

(3) دراسات في العقيدة وعلم الكلام - طبعة وزارة الأوقاف ص ١٦٢.

(4) سورة الزلزلة الآيات رقم: ٦ - ٨.

(5) سورة النساء آية رقم: ٤.

(6) الحديث - ذكره الإمام المنذرى في كتابه الترغيب والترهيب باب أهوال القيامة - فصل في الحساب - والميزان المجلد الرابع ص ١١٩ طبعة المكتبة التوفيقية.

(7) عقيدة المؤمن - الشيخ أبو بكر الجزائرى ص ٢٦٣.

ولذلك نجد المولى عز وجل يعاتب كل من ينكر الإيمان بهاتين العقيدتين عتاباً شديداً فيقول جل في علاه في الحديث القدسى الجليل : " كذبنى ابن آدم وما ينبغى له ذلك، وشتمنى ابن آدم وما ينبغى له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله : أنى يعيدنى كما بدأنى، وليس أول الخلق بأهون على من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله : أنى اتخذت ولداً وأنا الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد "[1].

فيوم البعث آت لا محالة ولا يأتى إلا فجأة قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[2].

فهذا اليوم من الأمور الغيبة التى اختص الله سبحانه وتعالى بعلمها فلا يطلع عليه نبى مرسل ولا يطلع عليه ملك مقرب ولا يعرف متى وقوعه الإعلام الغيوب .

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[3].

ومما يزيد الأهوال في ذلك اليوم أنه يوم طويل وثقيل وبالليل من يوم مقداره خمسين ألف سنة تقف الخلائق فيه على الوجوه والإقدام منتظرين ما يصدر عليهم من الأحكام، فيا لطول الانتظار وبالشدة الأخطار[4].

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[5].

---

(1) الحديث ـ أخرجه الإمام البخارى في صحيحه في كتاب التوحيد باب رقم ٢٦٨٢ الجلد الثالث ـ والحديث قدسى فيما يرويه الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه .

(2) سورة الأعراف آية رقم : ١٨٧ .

(3) سورة لقمان آية رقم : ٣٤ .

(4) الثقافة الإسلامية في العقيدة والشريعة والأخلاق د/ سيد عبد العزيز السيلى ص ٧٥ .

(5) سورة الحج الآيات : ١ ـ ٢ .

نتائج البحث

وأخيراً أختم حديثي عن هذا الموضوع بالنتائج التي توصلت إليها من خلال البحث وهي كالتالي

أولاً : إن النفخ في الصور هو أول حال من أحوال يوم القيامة وأول هول من هولها وهو أول المقدمات التي تسبق البعث يوم القيامة لأنه في النفخة الأولى يتم خراب الدنيا وبموت جميع العالمين إلا من شاء الله تعالى، وفي النفخة الثانية يقوم الناس لرب العالمين للفصل والقضاء والجزاء .

ثانياً : اختلف العلماء في المستثنى من الصعق عند النفخة الأولى فقيل الملائكة وقيل الأنبياء وقيل الشهداء والصحيح انه لم يرد في نفيهم خبر صحيح والكل محتمل .

ثالثاً : إن كل إنسان يبعث يوم القيامة على ما مات عليه، فمن مات وهو سكران بعث يوم القيامة وهو سكران، ومن مات وهو مليبا بعث يوم القيامة وهو مليبا .

رابعاً : إن البعث ثابت بالأدلة القطعية لأن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والعلم الحديث والعقل ـ اثبت كل منهما إمكان وقوعه .

خامساً : إن جسد الإنسان بعد أن يموت يبلى ويفنى، ولا يبقى منه إلا جزء ضئيل للغاية لا تدركه العين يسمى عجب الذنب منه خلق الإنسان ومنه يركب الخلق يوم القيامة .

سادساً : إن الاتجاهات والآراء حول كيفية البعث كثيرة وعديدة والصحيح ان البعث يكون بالروح والجسد معاً .

سابعاً : من أشهر الفرق التي أنكرت البعث هم الفلاسفة الطبيعيون والدهريون، وقد كفرهم الإمام الغزالي بسبب ذلك .

ثامناً : إن الشبه التي استند إليها منكروا البعث لا معنى لها لأن هؤلاء يجهلون عظمة الله وقدرته، ويجهلون علمه وحكمته، ولو نظر أحدهم إلى كيفية خلقه لما فعل ذلك .

تاسعاً : إن الإيمان بالبعث أمر واجب على كل مسلم ومسلمه لأنه ركن أساسى من أركان الإيمان فقد أخبرنا عنه الحق تبارك وتعالى في كتابه الجليل وأخبرنا عنه الصادق المعصوم صلى الله عليه وسلم في سنته .

عاشراً: أن الإيمان بالبعث له آثار إيجابية في نفوس المسلمين لأنهم يعرفون من خلاله إعطاء الحقوق لأصحابها، ومجازاة المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته .

ونسأل الله العلى القدير رب العرش العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريم وأن ينفع به المسلمين أجمعين أنه نعم المولى ونعم النصير وبالإجابة قدير، وصلى اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه ومسلم .

مصادر البحث

١- القرآن الكريم ـ كتاب الله تعالى.

٢- صحيح ـ الإمام البخارى ـ طبعة دار الغد.

٣- صحيح الإمام مسلم ـ طبعة دار الفكر.

٤- سنن الإمام أبو داود ـ طبعة دار الفكر.

٥- سنن الإمام ابن ماجة ـ طبعة بيروت ـ لبنان.

٦- الترغيب والترهيب ـ الإمام المنذرى ـطبعة المكتبة التوفيقية.

٧- الجامع لأحكام القرآن الكريم الإمام القرطبى ـ الطبعة الأولى ١٩٨٨م ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٨- التفسير الكبير ـ الإمام الفخر الرازى ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٨٥م ـ طبعة دار الفكر.

٩-تفسير القرآن العظيم ـ العلامة ابن كثير الطبعة الأولى ١٩٩١م طبعة الدار المصرية اللبنانية.

١٠- أسباب النزول ـ الإمام السيوطى ـ تحقيق الأستاذ / قرنى أبو عميرة ـ الناشر/ مكتبة نصر ـ القاهرة.

١١- المواقف ـ تأليف العلامة عبد الرحمن الايجى مكتبة المتنبى القاهرة .

١٢-شرح المقاصد ـ تأليف الإمام سعد الدين التفتازانى ـ تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة تصدير ـ فضيلة الشيخ/ صالح مرسى شرف الطبعة الأولى ١٩٨٩م طبعة عالم الكتب ـ بيروت ـ الناشر/ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة.

١٣- أصول الدين ـ تأليف الإمام أبى منصور البغدادى ـ الطبعة الأولى ١٩٢٨م استانبول مطبعة الدولة.

١٤- الفرق بين الفرق ـ تأليف الإمام عبد القاهرة البغدادى ـ تعليق الشيخ/ إبراهيم رمضان ـ دار الفتوى ـ بيروت الطبعة الثانية ١٩٩٧م.

١٥- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية تأليف ـ العلامة على بن أبى العز الحنفى تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة ـ دار المنار للطبع والنشر والتوزيع ـ القاهرة الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

١٦- العقائد الإسلامية ـ تأليف الأستاذ السيد سابق ـ دار الفتح للإعلام العربى الطبعة العاشرة ٢٠٠٠م.

١٧- الفصل في الملل والنحل والأهواء تأليف الإمام ابن حزم الظاهرى تحقيق د/ محمد إبراهيم نصر، و د/ عبد الرحمن عميرة دار الجليل بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٩٦م.

١٨- مقالات الإسلاميين ـ تأليف الإمام أبى الحسن الأشعرى ـ تحقيق الأستاذ محمد محى الدين عبد الحميد.

١٩- عقيدة المؤمن ـ تأليف الشيخ أبو بكر جابر الجزائرى ـ الناشر مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ دار البيان العربى القاهرة.

٢٠- إحياء علوم الدين ـ الإمام الغزالى تحقيق/ أبى حفص سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران ـ دار الحديث ـ القاهرة ١٩٩٤م.

٢١- تهافت الفلاسفة ـ الإمام الغزالى تحقيق د/ سليمان دنيا ـ الطبعة السادسة دار المعارف ١٩٧٢م.

٢٢- المنقذ من الضلال ـ الإمام الغزالى الطبعة الثامنة ١٩٧٤م مطبعة حسان الناشر/ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة.

٢٣- تهافت التهافت ـ تأليف الفيلسوف أبى الوليد بن رشد القرطبى تقديم وتعليق الأستاذ/ أحمد شمس الدين ـ الطبعة الأولى ٢٠٠١م. دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٢٤- الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة تأليف العلامة ابن رشد الأندلس ـ تصحيح ومراجعة الأستاذ/ مصطفى عبد الجواد عمران الناشر/ المكتبة التوفيقية التجارية ـ القاهرة.

٢٥- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة تأليف ـ الإمام القرطبى تحقيق الأستاذ/ خالد بن محمد بن عثمان ـ الطبعة الأولى ٢٠٠١م مكتبة الصفا ـ مطابع دار البيان الحديثة.

٢٦- التفكير الفلسفى في الإسلام د/ عبد الحليم محمود ـ الطبعة الثانية دار المعارف.

٢٧- مذاهب فلاسفة المشرق د/ عاطف محمد العراقى ـ الطبعة الحادية عشر ١٩٩٩م دار المعارف المصرية.

٢٩- الثقافة الإسلامية في العقيدة والشريعة والأخلاق ـ د/ سيد عبد العزيز السيلى دار المنار للطبع والنشر والتوزيع ـ القاهرة.

٣٠- الإسلام يتحدى ـ تأليف/ وحيد الدين خان تعريب/ ظفر الإسلام خان ـ مراجعة د/ عبد الصور شاهين الطبعة الثانية عشر ١٩٩٧م مؤسسة الرسالة ـ دار البحوث العلمية.

٣١- اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام د/ فرج الله عبد البارى أبو عطا الله ـ دار النشر للجامعات المصرية ـ مكتبة البقاء .

٣٢- البعث يوم القيامة برؤية عصرية تأليف الأستاذ/ محمد شكرى حسن طبعة ٢٠٠٣ ـ طبع بمؤسسة ـ دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر ـ القاهرة .

٣٣- دراسات في العقيدة وعلم الكلام طبعة وزارة الأوقاف المصرية.

٣٤- دراسات في العقيدة الإسلامية والأخلاق تأليف لجنة من قسم العقيدة والفلسفة ـ بجامعة الأزهر ـ الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٣٥- في العقيدة والأخلاق ـ تأليف الأستاذين د/ أحمد عبده حودة الجمل و د/ شوقى إبراهيم على مراجعة د/ محى الدين الصافى مطبعة الفجر الجديدة ـ القاهرة.

٣٦- محاضرات في التوحيد د/ عابد منصور عابد طبعة ١٩٩٤م أسيوط.

٣٧- حولية كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط العدد الحادى والعشرون الجزء الثانى لسنة ٢٠٠٣ ـ بحث تحت عنوان ـ من أحوال يوم القيامة في القرآن الكريم.